المحاضرة الثانية : علمية علم السياسة

قبل الحديث عن علم السياسة ، لابد لنا من تعريف العلم بشكل عام ثم نرى فيما إذا كان علم السياسة بشكل علما أم لا ؟

ان كلمة علم تعني للبعض مجموعة من المعارف في مجال معين وللبعض الأخر مجال من المعرفة يختص بالتكنولوجيا أو الرياضيات أي العلوم الطبيعية ، بينما يرى فريق آخر أن العلم هو المنهج الذي تتبع فيه الخطوات العلمية التي تعتمد على العقل والملاحظة والتجريب للحصول على معرفة في مجال من المجالات.

بهذا التعريف نرى أن للعلم خصائص ، منها :

١. أن يكون للعلم موضوع للبحث .

٢. أن يكون للعلم منهجية للبحث.

٣. أن يكون هناك تراكم في هذا المجال .

بالتفصيل ، أن يكون للعلم موضوع : لا يمكن لأي علم من العلوم أن يوجد دون أن يكون له موضوع بشكل الجوهر الأساس للدراسة ، فعلم الجيولوجيا له موضوع الأرض ، و علم البيولوجيا له موضوع كل الظواهر التي تتعلق بالحياة من الخلية وغيرها من مواضيع أخرى . والسياسة هذا النشاط البشري ، هو ايضا يشكل موضوعاً لعلم يمكن أن يدرس هذا النشاط الإنساني الهادف إلى تنظيم وإدارة امور المجتمع .

اما فيما يتعلق بالمنهج : أي أن كل علم لا بد له من طريقة بحث و منهجية يتبعها الباحثون والعاملون في هذا المجال لدراسة الظواهر المتعلقة بالموضوع سواء كانت طبيعية ام اجتماعية أم اقتصادية أم سياسية . فالعلوم الطبيعية تعتمد على التجريب و المقارنة ، واستخدام طرق مختلفة لدراسة الظواهر الطبيعية ، كذلك العلوم الاجتماعية

لها طرقها في دراسة الظاهرة الاجتماعية بطرق علمية تعتمد على الملاحظة والاستقراء والتجريب .

هذا ويمكن القول أن العلم يختلف عن بقية مصادر المعرفة الأخرى بأنه موضوعي وليس ذاتياً ، أي أن العلم يجب أن يفصل بين الذات و الموضوع ، فالمعرفة الفلسفية على سبيل المثال تقوم على رأي شخصي لا يستطيع فيلسوف آخر أن يبدأ من حيث انتهى الفيلسوف الأخر . بينما في الطرق العلمية الوضعية يمكن لأي باحث في هذا المجال أن يبني على ما سبق ، ولذلك يكون هناك تراكم في هذا المجال ويتم التطور في هذا العلم .

أما بالنسبة للتراكم في علم السياسة ، فإذا ما نظرنا نظرة سريعة إلى الكتب والمجلات الموجودة في المكتبات ، نحصل على الإجابة على سؤال التراكم في علم السياسة . فهناك آلاف ، الكتب والمجلات والدوريات التي تهتم بدراسة الظواهر السياسية ، وكذلك تدرس الجامعات والمؤسسات التعليمية في جميع أنحاء العالم علم السياسة كفرع خاص تتفرع عنه مجموعة من الاختصاصات العلمية . مما سبق نجد أن علم السياسة هو علم تتوافر فيه الشروط المسابقة ، من وجود موضوع ومنهجية وتراكم ، ولذلك لم تعد طبيعة هذا العلم محل جدل كبير حول إمكانية دراسة الظواهر السياسية بطرق علمية .

مما سبق أيضاً ، نجد أن السياسة هي علم الحكومة وفن علاقات الحكم ، وتدرس مجموعة الشؤون التي تهم الدولة ، والطريقة التي يسلكها الحكام ، وبذلك تكون الأسس الموضوعية للعلم قد اكتملت بوجود الشروط المطلوبة لقيام علم مستقل .

والسؤال الآن ، هل تتوافر هذه الشروط في علم السياسة ؟

للإجابة على هذا السؤال لابد لنا من تحديد موضوع علم السياسية المنهجية المتبعة في دراسة الظاهرة السياسية ، ومن ثم نرى فيما إذا كان السياسة والمنهجية ومن ثم نرى فيما إذا كان هناك تراكم في هذا العلم أم لا ؟

من الواضح ان الظاهرة السياسية والسلوك السياسي والمؤسسة السياسية هي موضوع علم السياسة . فالنشاط الهادف للإنسان لتنظيم وإدارة شؤون المجتمع قديم ، ويرى البعض أن هذا النشاط له قوانين او شبه قوانين تحكمه ، ولذلك يمكن أن يكون هناك نماذج من السلوك تتكرر في المجتمع ونماذج من الظواهر لها صفة السياسية ، وبما أن هناك أيضا ظواهر سياسية ولها نوع من النمطية والحدوث و التكرار ، فهي موضوع للدراسة ، والعلم الذي يدرسها يجب أن يكون علم السياسة .

أما فيما يتعلق بالمنهجية ، فعلم السياسة اعتمد طرقاً عديدة في دراسة الظاهرة السياسية . فالبدايات كانت عبارة عن مجموعة الكتابات التي اتسمت بالصبغة الفلسفية ، والتي كانت تبحث عن العدالة ، وكيف يمكن أن يحصل المجتمع على السعادة والرفاهية ، ولذلك نرى أن الكتابات الأولى تركزت حول مفهوم المدينة الفاضلة والعدالة والحاكم الفيلسوف والشروط التي يجب أن تتوافر في الحاكم كي يصبح حاكماً ، وما هي أفضل أنواع النظم السياسية ، أي أنظمة الحكم . إن هذا النوع من الدراسات يعود إلى الإغريق ، وخير من يمثل هذا المنهج في العمق هو الفيلسوف الإغريقي أفلاطون. أما الاتجاهات الأخرى التي تقوم على الملاحظة والوصف والتحليل ، ومن ثم الملاحظة والتجريب فيتمثل في المنهج الذي يطلق عليه البعض اسم "المنهج العلمي أو المنهج الوضعي" الذي تبلور في القرن التاسع عشر ، والبعد الثاني للسياسة يرى فيها بأنها من الفن والحكم في هذه الحالة.

و "الحكم" في هذه الحالة هو عملية صعبة تعتمد أساسا على الحدس والذكاء ، ومن ثم يجب على عالم السياسة أن يوجه عناية خاصة إلى أن ممارسة الحكم . على أن يعالج

هذا الجانب بنفس عقليّة الناقد الفني ، أو الأديب حين يعني بمسائل مثل التوازن ، والانسجام والإلهام والتذوق . وإذا كان العلم يحتاج إلى عقلية تركيبيّة ، فإن الفن يحتاج إلى العبقرية ، ونستطيع أن نجد في أقوال كبار رجال السياسية الذين عرفهم التاريخ ، والذين تحدثوا بوحي من العبقرية السياسية ، مصدراً غنياً للمعرفة السياسية ، و أفكاراً مبدعة حول فن الحكم .

إلا أن هذا الموقف يتطلب تبني نظرة منهجيّة خاصة نحو علم السياسة ، فمن الضروري أن ندرك هذا العلم بوصفه يحتل مكاناً وسطاً بين الإنسانيّات والعلوم الطبيعية ، ومعنى ذلك أن دراسات علم السياسية لا يتعين عليها أن تتجه اتجاهاً مطلقا نحو جمع المعلومات حول الحكومة باستخدام الإجراءات العلميّة الدقيقة وإنما عليها أن تمنح قدراً من اهتمامها للطبيعة الإنسانية والحكمة والخيال السياسي ، وأن تستخدم التعاطف الإنساني كأداة رئيسية من أدواتها .